

النمسا الجمهورية في خمسة عشر عاما

للاستاذ محمد عبد الله عنان

- ١ -

هي المعركة التي انفجر بركانها في الثاني عشر من فبراير لأسباب وظروف ما تزال غامضة . وقد استطاعت الحكومة ومن ورائها القوى المحافظة أن تخرج من هذا الصراع ظافرة ، وأن تقضى - مؤقتا على الأقل - على الديمقراطية الاشتراكية النمساوية . ولكن ماذا سيكون بعد هذا الظفر وبعد اختفاء الديمقراطية الاشتراكية من ميدان كان لها فيه منذ قيام الجمهورية النمساوية أبعادا شانا ؟ لقد كانت الديمقراطية الاشتراكية سند حكومة الدكتور دولفوس في نضالها ضد الخطر الهتلري ، فالآن وقد حطمت هذه القوة ، فإن مهمة الدكتور دولفوس تغدو أصعب وأشق . ويدأه يصعب علينا أن نقول اليوم كلمة حاسمة في نتائج هذه المعركة . وسنحاول في هذا البحث أن نستعرض تاريخ الجمهورية النمساوية منذ قيامها ، وأن نشرح العوامل والظروف الداخلية والخارجية التي تقلبت فيها ، والقوى السياسية والاجتماعية التي تتجاذبها ، والاتجاهات المختلفة التي تسيرها في ميدان السياسة الدولية .

قامت الجمهورية النمساوية في الثاني عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، على أقاض البقية الباقية من امبراطورية النمسا والمجر القديمة . وكانت امبراطورية النمسا والمجر تسير قبل ذلك بعامين أو ثلاثة في سبيل الانحلال والتفكك . وكان الامبراطور الشيخ فرانز يوسف الذي سهر على وحدتها ومصيرها نحو سبعين عاما قد توفي في نوفمبر سنة ١٩١٦ . والحرب الكبرى في إبان اضطرابها والامبراطورية القديمة تراجعه أخطار الهزيمة والتفكك ؛ فخلقه حفيد أخيه الأرشدوق كارل ؛ ولم تمض أشهر قليلة حتى أخذت بوادر الاعياء والهزيمة تبدو قوية على الجيش الامبراطوري . واخذت القوميات والاجناس القديمة التي تتألف منها الامبراطورية اعنى المجر والتشك والسلوفاك والبولونيين والصرب والرومانيين ، تتحرك في سبيل التحرر والاستقلال . وفي أكتوبر سنة ١٩١٨ ، أعلنت تشيكوسلوفاكيا نفسها بمؤازرة الحلفاء جمهورية مستقلة برئاسة الدكتور مازاريك ؛ وفي نفس الوقت أعلن الصرب والكروات خلع الامبراطور كارل ، ونادوا بأنفسهم مملكة مستقلة هي مملكة الصرب والكروات والسلوفين ، أو مملكة يوجوسلافيا وظلها بطرس الأول ملك صربيا . وقامت خلال ذلك ثورة في بودابست ، وأعلنت المجر انفسها عن الامبراطورية . وقيامها دولة ثرة

في الثاني عشر من فبراير المنصرم اضطربت النمسا فجأة بضرام حرب أهلية خطيرة ، واتجهت أنظار العالم الى هذا الحدث الأوربي الجديد ترقب آثاره في سير الشئون الدولية . وكانت المعركة عنيفة هائلة ولكن قصيرة المدى ، لأنها لم تطل سوى ثلاثة أيام . وكانت خاتمة النتائج والآثار سواء في الموقف الداخلي أو في سير السياسة الاوربية العامة .

ويرجع هذا الفصل السريع الحاسم الى عزم الرجال الذين يشرفون اليوم على مصائر الجمهورية النمساوية ، وعلى رأسهم الدكتور أنجلبرث ودولفوس المستشار (رئيس الحكومة) الفتى . وقد تولى الدكتور دولفوس الحكم منذ عامين (في أواخر مايو سنة ١٩٣٢) في ظروف صعبة تزداد كل يوم حرجاً ؛ وفوجئ غير بعيد بخطر السياسة العنيفة التي اتخذتها الوطنية الاشتراكية الألمانية أو السياسة المتطرفة إزاء النمسا ، ومحاولتها أن تقضى على استقلالها وأن تجعل منها ولاية ألمانية ؛ وأفق العام الماضي كله في قمع الاعتداءات المنظمة التي يذبرها الوطنيون الاشتراكيون (النازي) النمسيون بروح ألمانيا وإرشادها ؛ وأبدى حزماً وشجاعة نادرين في الدفاع عن استقلال النمسا ، ومقاومة ضغوط السياسة الهتلرية ، واستطاع حتى اليوم أن يقضى على كل مشاريعها ومحاولاتها . يد أن هذا الخطر ما يزال قائماً داهماً ،

وكان شمة خطر آخر تواجهه حكومة الدكتور دولفوس وتخشى منه على النظم القائمة وعلى سلام البلاد . ذلك هو قوة الديمقراطية الاشتراكية النامية وتغلغلها في مرافق البلاد . وكانت الديمقراطية الاشتراكية تؤيد الحكومة في نضالها ضد الخطر الهتلري ، ولم يك ثمة خلاف في جهة السياسة النمساوية من هذه الناحية ؛ ولكن المعركة الجالدة بين الجبهة الاشتراكية والجبهة المحافظة كانت تجم داهماً وراء هذا التفاهم المؤقت على مقاومة الخطر المشترك ؛ وذلك

المجد الى ميدان الكفاح الشاق . وكانت الكتلة الديمقراطية الاشتراكية هي صاحبة الكلمة في توجيه مصير النمسا الجديدة ، فهي التي تولت الحكم على أثر انهيار الامبراطورية وهي التي عقدت معاهدة الصلح ، وكانت أغلبية في الجمعية الوطنية التي وضعت الدستور (سنة ١٩١٩) حيث بلغ عدد النواب الديمقراطيون الاشتراكيين ٧٠ والاشتراكيين المسيحيين ٦٤ والوطنيين الالمان وحزب الفلاحين ، وغيرهما ٣٠ : وقد كان هذان الحزبان القويان القديمان ، أعني الديمقراطيون الاشتراكيين ، والاشتراكيين المسيحيين ، هما اللذان يتنازعان الحكم والسلطان في الجمهورية الجديدة ، والحزب الأول يمثل طبقات العمال وأصحاب المهن والحرف وله مثل اشتراكية قوية . والحزب الثاني يمثل أصحاب الاملاك والاموال والفلاحين ، ذوى المبادئ والآراء المحافظة ، وتغلب عليه نزعة دينية قوية . وقد لبث تيار الديمقراطية الاشتراكية غالبا زهاء عامين ، وتولى زعيمها الدكتور رنر رئاسة أول حكومة جمهورية في سنة ١٩١٨ ، ولما أجريت الانتخابات العامة للمرة الثانية خرج الديمقراطيون الاشتراكيون بأغلبية جديدة حيث بلغت كراسيهم ثمانين مقابلا ٦١ كرسيا للاشتراكيين المسيحيين وعاد الدكتور رنر فتولى رئاسة الحكم على قاعدة الائتلاف مع الاشتراكيين المسيحيين . وكان الائتلاف يومئذ ضرورة تملها الظروف العصية التي تجتازها النمسا ، وكان في كثير من الاحيان ضرورة دستورية أيضا ، لأن الأغلبية الحاسمة لم تكن لاحد الحزبين وكان العمل التشريعي يتطلب التفاهم والمهادنة . وقدت الديمقراطية أغليتها سنة ١٩٢٠ ، وتولى الاشتراكيون المسيحيون الحكم على يد زعيمهم المونسنيور أنجاس سيل ، وهو حبر وعلامة في القانون الدول ، ولكن الديمقراطيون الاشتراكيين لبوا أقلية قوية تهاض الاغلبية وتملى عليها ارادتها في كثير من الاحيان . وكان اكفاح الحزبين القويين للبيان الانتخابي على هذا النحو يحرم الطبقات الوسطى من أن تمثل تمثيلا قويا ، ويحسم ميدان النفوذ والكفاح قاصرا على معسكرين يمثل كل منهما ناحية متطرفة من المثل والمبادئ ، يد أن الطبقة الوسطى كانت أكثر ميلا الى ناحية الديمقراطية منها الى الناحية الأخرى .

وأقمت الجمهورية النمساوية اعوامها الأول في معالجة المشاكل التي خلفتها الحرب وفروض الصلح ، وشغلت حينها مسألة التقدي

مستقلة . وبذلك انتهت امبراطورية آل هابسبرج القديمة . وفي أوائل نوفمبر ثارت مدينة فيينا بثورها وطالبت الجموع باقامة الحكم الديمقراطي ، فلم ير الامبراطور كارل سوى التنازل عن عرشه والانسحاب ؛ واعلن قيام الجمهورية النمساوية في ١٢ نوفمبر ؛ واجتمعت في الثالث عشر جمعية وطنية تولت مقاليد الحكم ، وانتدبت حكومة مؤقتة على رأسها الدكتور رنر الزعيم الاشتراكي ، ودخلت النمسا في طور جديدين تاريخيا .

ويقرر الدستور النمساوي الجديد الذي بدى بتنفيذه في نوفمبر سنة ١٩٢٠ أن النمسا جمهورية اتحادية تتكون من ثمان ولايات والعاصمة فينا . وهذه الولايات هي النمسا السفلى والنمسا العليا ، و سالسبورج ، وستريا ، وكارنتيا ، والتيرول ، وفورارلبرج وبورجنلند . ونظام الحكم نيابي ديمقراطي ، قوامه جمعية وطنية هي (النايونال رات) وتؤلف بالانتخاب العام ، وتتولى التشريع ؛ ومجلس الاتحاد (البند سرات) ويتخب من أعضاء المجالس الاتحادية ، وسلطاته استشارية فقط ، وينص الدستور على إلغاء جميع الامتيازات والالقاء الخاصة وعلى ضمان الحرية الدينية ، وعلى المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات بين جميع السكان . وللجمهورية رئيس ينتخب لمدة أربعة اعوام ولا يجدد انتخابه أكثر من مرة . ويبلغ سكان النمسا نحو ستة ملايين ونصف

وقد حددت علائق الجمهورية الجديدة بدول الحلفاء ، ومركزها الدول بمعاهدة سان جرمان التي عقدت في سبتمبر سنة ١٩١٩ . وكانت النمسا تريد يومئذ بعد أن فصلت عن باقي اجزاء الامبراطورية القديمة أن تنضم الى المانيا ؛ ولكن الحلفاء عارضوا في ذلك اشد المعارضة . ونصت المعاهدة على اقتطاع جزء من التيرول النمساوي وضمه الى ايطاليا ، وعلى اقتطاع بوهيميا الالمانية وضمها الى تشيكوسلوفاكيا ؛ ونصت على تنازل النمسا عن جميع حقوقها في مصر ومراكش والصين ؛ وحددت عدد الجيش النمساوي بثلاثين الفا ووضعت قيودا شديدة على التسليح الجوي ؛ ونصت على حماية الاقليات ، وعلى الزام النمسا بنصيب من تعويضات الحرب

بدأت النمسا حياتها الجديدة في غمار من الصعاب ، وكانت النظم الاجتماعية والاقتصادية القديمة قد انهارت وساد الانحلال واليأس جميع الطبقات والافراد ، فكان على النمسا الجمهورية أن تخلق لنفسها حياة اجتماعية واقتصادية جديدة ، وأن تبرز من انقراض الماضي

الجنوية ضرورة لسلامة إيطاليا ، وإن إيطاليا لن تنزل عنها قيد ذرة . وانتقد الشعب النمساوى موقف المونستيور سيل في هذه المسألة ورماء بالتردد والضعف ، ولكن سيل لم ير سيلا للعمل الإيجابي إلا . وعيد موسوليني : ولم تستطع النمسا أن تعمل إيطاليا على تغيير شيء من سياستها وخططها في التيرول ، ولت المسألة مثاراً لسوء التفاهم بين البلدين مدى حين ، وما زالت على حالها لم يتخذ بشأنها أى إجراء لانصاف أهل التيرول .

وأما المسألة الثانية وهي مسألة اتحاد النمسا مع ألمانيا Anschluss ، فقد لبثت مدى اعوام ظاهرة بارزة في السياسة النمساوية . وهي أمنية قديمة لدعاة الجامعة الجرمانية ترجع إلى أواخر القرن الماضي ، وكانت قبل الحرب من غايات السياسة الألمانية . ولكنها لم تتخفى النمسا الامبراطورية أية أهمية ، ولم يكن لها سوى أنصار قليلين بين شبيبة هذا العصر ، فلما انتهت الحرب بانتهار الامبراطورية القديمة وتمزيقها ، وفصلت النمسا عن باقي وحداتها شعرت النمسا بمخاطر ضعفها وعزلتها عن باقي الكتلة الجرمانية ، ورأت في اتحادها مع ألمانيا شقيقتها الكبرى خير سبيل لضمان مستقبلها السياسي والاقتصادي . واعربت السفافلا عن هذه الأمنية لدول الحلفاء على يد مندريهاف . وتم الصلح تطبيقاً لبدأ الرئيس ولسون في حرية تقرير المصير ، ولكن الحلفاء عارضوا في تلك الخطوة أشد المعارضة كما قدمنا ، لأن اتحاد الأمتين الجرمانيتين على هذا النحو يقوى ساعد الكتلة الجرمانية في أواسط أوروبا ، ويجعلها أشد خطراً وأبعدت وذاً ، ولما بدأت النمسا الجمهورية حياتها الجديدة ، وآتت كل ما يترضا من الصعاب السياسية والاقتصادية المترتبة على فصلها وعزلتها وتمزيق معاملاتها وعلاقاتها القديمة ، عادت فكرة الاتحاد مع ألمانيا تبدو لها كملاج ناجع ، وكان الفريق المتطرف من أنصار الفكرة يرى أن يكون هذا الاتحاد تاماً من جميع الوجوه السياسية والاقتصادية أو بعبارة أخرى يكون نوعاً من الاندماج العام ، ويرى الفريق المعتدل أن يكون هذا الاتحاد اقتصادياً قبل كل شيء بقرن بتوحيد الخطط السياسية العامة ، ولكن تبقى النمسا محتفظة بشخصيتها واستقلالها الداخلي . يد أن الفكرة كانت تلقى على وجه العموم تأييداً كبيراً من الشعب النمساوى ، وكان أنصار الجامعة الجرمانية في البلدين يروجون لها بالدعاية الواسعة ، وكانت تقام من أجلها المظاهرات في العاصمة النمساوية من آن لآخر ، وتشجعها الحكومات

وتدموره . وكان المونستيور سيل رجل الموقف ، فاستطاع بكثير من البراعة والجلد أن يعالج مشكلة النقد بالالتجاء إلى عصبة الأمم ، واستقر النقد النمساوى منذ سنة ١٩٢٣ ، وأخذت النمسا تسير في طريق الاتعاش الاقتصادي ، وعرجت عدة مشاكل اقتصادية واجتماعية مثل : مسألة الأجور وتنظيمها ، ومسألة المساكن وحماية المستأجرين ، ومسألة التأمينات والمعاشات ، والتشريع العملي والاجتماعي . وبذل المونستيور سيل لتنظيم النمسا الجديدة جهوداً تخلق بالاعجاب . وكان يعتمد في سياسته أثناء هذه الاعوام على جهة موحدة من حزبه ، أعنى الاشتراكيين المسيحيين والاحزاب الصغيرة الأخرى ، ولكن الديموقراطيين الاشتراكيين كان لهم دائماً في سير الشئون نفوذ قوى ، بل كان هو الغالب في معظم الاحيان ، وكانت جهودهم خلال هذه الاعوام تنحى إلى تقوية حقوق الطبقات العاملة وتوطيدها ، وإلى مقاومة إجحاب الاموال والصناعات الكبرى والكتلة المحافظة من الملاك ورجال الدين . وكانت أهم المسائل السياسية التي واجهتها الجمهورية خلال هذه الفترة مسألتان : الاولى ، مسألة التيرول الجنوبية ، والثانية مسألة الاتحاد مع ألمانيا (الانشولس) ، فاما الاولى فترجع إلى أن معاهدة سان جرمان قضت بفصل قسم كبير من أراضي التيرول الجنوبية عن النمسا وضمها إلى إيطاليا ، وفيها نحو مائتي ألف نمساوي . وعنا حاولت النمسا أثناء مفاوضات الصلح ان تقع الحلفاء بتعديل هذا النص والابقاء على حدود النمسا الطبيعية . وقد ازدادت هذه المسألة أهمية وخطورة حينما اشتدت وحاة النظم الفاشية على أهل التيرول وأخذ السنيور موسوليني في حرمانهم شيئاً فشيئاً من اخص حقوقهم القومية والجنسية ، وفرض عليهم اللغة الإيطالية في المدارس والكنيسة ولم يدخر وسيلة لسلخهم عن الكتلة الجرمانية وإدماجهم في الكتلة الإيطالية . عندئذ حاولت النمسا ان ترفع صوتها بالاحتجاج على هذه السياسة ، وقامت الصحف النمساوية والألمانية عامة بحملة شديدة على ما تنزله الفاشية بأهل التيرول من ضروب الظلم والارغام ؛ ولوح الرجال المسؤولون في النمسا بأماكن طرح المسألة على عصبة الأمم تطبيقاً لما تنص عليه معاهدات الصلح المختلفة من حماية الاقليات القومية . ولكن السنيور موسوليني انكر هذه التهم ، وسخر من تدخل العصبة ونوه بما تسببه الحكومة الإيطالية على رعائياها الجدد من ضروب الرعاية والمعلوثة ، وأكبد أن التيرول

حجر رشيد والقلم الهير غليفى

للاستاذ عبد الفتاح الزىادى

مدرس تاريخ والجغرافيا والاقتصاد بدار العلوم العليا

تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا بالحجارة منطقيين
(نون)

ان هذا الحجر وثيقة تاريخية خطيرة أدت الى فك رموز الكتابة الهيرغليفية (المقدسة) فتمت ما علق من تلك المدينة المصرية القديمة التي ترعرعت على ضفاف النيل وودنت قطوفها حتى عمت جهات البحر الابيض الشرقية .

قد هذا الحجر من صخر البازلت ، وهو نوع من الحجارة البلوتونية السوداء المعروفة بصلابتها ، وهو يرى الآن قائما في الطرف الجنوى من غرفة الآثار المصرية بالمتحف البريطانى . أطلق عليه المؤرخون هذا الاسم بعد العثور عليه في مكان قريب من مصب النيل الغربى بالقرب من موضع رشيد . وقد قرر بعض المؤرخين انه كان ملقى على الأرض وقت ان عثر عليه ، وقرر آخرون انه وجد مبثرا داخل جدار قديم كان نابليون قد أمر ثلثة من جنوده بهدمه ليعز ذلك الحصن الذى عرف بعد ذلك باسم حصن « القديس جوليان » .

أما الذى عثر عليه فهو الضابط « بوسار » من فرقة المهندسين الذين راققوا نابليون في حملته على مصر في أغسطس سنة ١٧٩٩ وورق عتب ذلك الى رتبة جنرال « قائد »

لما لاحظ « بوسار » ما على وجه الحجر الامس من الخطوط والقوش الغريبة أيقن انها لابد ان تكون خطوطا من قلم خاص ، وسرعان ما كاشف رئيسه الجنرال « منو » بما لاحظته ، فأمره هذا بنقل الحجر الى منزله بالاسكندرية ، ففقد بوسار الامر وظل الحجر زمنا في بيت « منو » لا يعلم أحد من أمره شيئا حتى ادعى « منو » ملكيته واعتبره جزءا من متاعه الخاص

ولما علم نابليون بما كان من أمر هذا الحجر أصدر أمره للجنرال « منو » بنقله الى القاهرة فصدع منو بالأمر ونقل الحجر الى « المعهد الوطنى » الذى أسسه نابليون في المدينة ، وما ذاع خبر نقله

النسوية المختلفة . وكانت الديمقراطية الاشتراكية مع ذلك تشك في قيمة هذا الاتحاد وتحتى منه على مستحلبها وحقوقها اذا ما انتهى بالقضاء على استقلال النمسا . بيد أنها لم تعارضه بطريقة ايجابية ، وكانت تؤيد جانبه الاقتصادى على الاقل ، خصوصا وقد كانت الديمقراطية الاشتراكية الالمانية يومئذ صاحبة النفوذ والسلطان في المانيا . واتخذت أول خطوة عملية لتحقيق مشروع هذا الاتحاد في سنة ١٩٣١ حيث عقدت النمسا مع ألمانيا اتحادا اقتصاديا جرمانيا ، وكان المفهوم أنه أول مرحلة فقط ، ولكن دول الحلفاء ، ودول الاتفاق الصغير ، احتجت كلها على هذا الاتحاد بمنتهى الشدة . وانهى الامر بسحبه وإلغائه ، وأدركت النمسا مرة أخرى انه لن يسمح لها بالاندماج في الجامعة الجرمانية الكبرى .

وكانت فكرة الاتحاد النمساوى الالمانى ما تزال قوية في النمسا حينما تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم في ألمانيا في يناير سنة ١٩٣٣ وأخذوا يعملون لتحقيق برنامجهم ، والمعروف أن العمل على تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية في مقدمة المبادئ التى يحتويها برنامج المهرتلر ، وليس من ريب في أن ضم النمسا لألمانيا هو أهم عناصر هذا المشروع ، وكان المفهوم أن ظفر الوطنية الاشتراكية بالحكم في ألمانيا يقرب أمد هذه الغاية ، ولكن سرعان ما ظهرت الوطنية الاشتراكية الالمانية في ثوبها الحقيقى ، مسرفة في العنف والطغيان وسرعان ما أخذت الحكومة الهتلرية تتدخل في شئون النمسا وتعاملها بمخشونة وظلمة كأنها ولاية تابعة لألمانيا . وهنا أدرك الشعب النمساوى حقيقة لم يتقدرها في البداية حتى قدورها ، وهو أن أنصار الجامعة الجرمانية لا يفهمون من الاتحاد الا أنه تضاد على كيان النمسا كامة مستقلة أو بعبارة أخرى ضم النمسا لألمانيا كولاية ألمانية . وشهد الشعب النمساوى في دهشة وسخط كيف تتجنى ألمانيا الوطنية الاشتراكية على النمسا ، وكيف يحاول الدعاة الهتلريون أن يضرموا في النمسا نار الحرب الأهلية لكي تقضى على وجودها ، وشهدت الديمقراطية النمساوية من جهة أخرى كيف قضى الهتلريون على الديمقراطية الالمانية في غمر من العنف المثير : عندئذ انهارت في الحال فكرة « الاتحاد » (الانشلاوس) ، وظهرت للشعب النمساوى في روعة خطرهما وخطئهما ، وبضمت حكومة الدكتور دولفوس ومن ورائها سواد الشعب ترد عدوان ألمانيا الهتلرية ، وتعمل لحماية الاستقلال النمساوى بكل ما وسعت من جهود .

البحث فى محمد عبد الله عثمان